
سيد أحمد الحردلو
الخرطوم يا حبيبتي


المرتضى
للكتب السودانية

مجموعة شعرية

سيد أحمد الحردلو

الخرطوم .. يا حبيبتي

منشورات دار الأشقاء
للطباعة والنشر والتوزيع
المحدودة

الطبعة الأولى

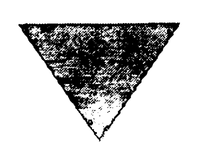
الخرطوم -١٩٩٩

التجهيزات الفنية والطباعية

دار هايل للطباعة والنشر والتغليف

الخرطوم بحرى

صمم الغلاف الفنان إبراهيم العوام





حــبيبتي وطـــــــــــنــي

-١-

حينَ أراكِ في سماءِ وطني
سامقةً
كنخلةٍ من وطني
تُلمْلِمينَ الحُسنَ فيكِ
ثم يحتويكِ
أشهى بدنٍ
أَشْعُرُ أنَّ الدربَ لا يحملني
أُوقنُ أنَّ الله قد أرسلني
لكي تكوني آيتي وزمني

-٢-

حين أُشاهدُ الدنيا
حوالينا
ونحنُ جالسانْ
أكادُ أنْ أرى الأرضَ
تدورُ دورتين
في ثوانْ
أُحسُ أنني
معزوفةٌ
وأنَّ الكونَ كُلَّهِ أغانْ
وأنني أميرُ كلِّ الناسِ
من فاسَ
الي بغدانْ

-٣-

يومَ تجيئينَ
يَجيءُ المطرُ الصيفيُّ
في الشتاءْ
فتطرحُ الأرضُ اليبابُ ...
ثم تحبلُ النساءْ
ويغرقُ العالمُ
في الصلاةِ
والتسبيحِ والدعاءْ
لأنَّ مَنْ أحبُها
جاءتْ إلى الأرضِ ...
من السماءْ

-٤-

حين أراكِ
تخطرينَ فوق وطني
أشعرُ أنَّ الحُسنَ
صارَ وطني
وأنني
غادرني حزني
وكانَ الحزنُ يستبيحُ بدني
وأنني حرٌ
كأيِّ عصفورٍ
وأنني أشجى
من أيِّ أغنيةٍ
وأنني نورٌ
حين تشرفينني
تنهمرُ النجومُ في مدينتي
ويرحل الديجورُ

-٥-

[illegible]ارتْ حبيبتي وطني ،
[illegible]ـبيبتي
[illegible] الخلاصُ والسرورُ .

الخرطوم - يناير - ١٩٩٨م -

ماذا تَبقي سِوي الشُعراءْ !؟

كتبتُ هذه القصيدةَ رداً علي الشاعرة سعاد الصباح في قصيدتها (اعطني خوذةَ جُندي عراقي؛ وخُذْ ألفَ أديبْ).

* *

- ١ -

ماذا تَبقي لنا
في العروبةِ
ماذا تَبقي سِوي الشُعراءْ
ومَنْ غيُرهُم
نستجيرُ به
فيردُ الي سيفنا الكبرياءْ
ويكتُبنَا في المحافلِ بأساً
ويرسمُنَا
وطناً في السماءْ
ماذا تبقي لنا في النهايةِ
ماذا تبقي
سِوي الشُعراءْ !

-٢-

هُم ما لدينا
من الخبزِ والماءِ
أمرُّ ما عندنا من ضياءْ
وهم صوتُنا
والجمالُ النبيلُ
وآخرُ أقوالِنا للسماءْ
وهُم أغنياءُ
بسلطانِهم
ولكنهم دائماً بُسطاءْ
وهُم في العروبةِ
مُستَضعفونَ
ولكنهم عندنا أنبياءْ

-٣-

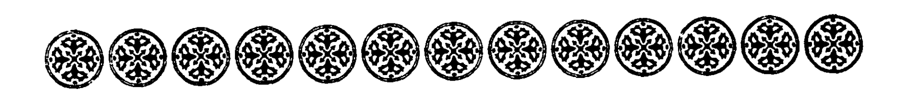
ويؤسفني .. أننا ما نزالُ
بدونِ وفاءٍ
ودونِ حياءْ
فهل للحياةِ مذاقٌ وطعمٌ
بدونِ قصيدٍ
ودونِ غناءْ
وكيفَ يُضامُ الذين يموتونَ
كُلَّ صباح
وكُلَّ مساءْ
لأجلِ العروبةِ
ياللعروبةِ
إنَّ العروبةَ صارتْ بَلاءْ !

-٤-

فيا مربدَ الشعرِ
عدنا اليكَ
وهلْ عندنا في سِواكَ رجاءْ
فكلُّ فواصِلِنا
دامعاتٌ
وكُلُّ قصائدِنا من بُكاءْ
وكُلُّ المداخلِ صارتْ يهوداً
وصار اليهودُ
لنا أصدقاءْ
فكيفَ إذنْ –
نُستَباحُ فنرضَخُ –
والشعرُ علّمنا الكبرياءْ

-٥-

أعطني شاعراً واحداً
وتَفَضَلْ
وخُذْ من حكوماتِنا ما تشاءْ
وأعطني حاكماً عادلاً
وتفضَلْ
وخُذْ ما تشاءُ من الشُعراءْ !



... آنَ للوردةِ أنْ تنـــــــمو

-١-

كيفَ للوردةِ أنْ تنمو
وللعصفورِ أنْ يشربَ في النيلِ
وللطفلةِ أنْ تركضَ في رملِ الفراتْ

كيفَ يأتي الشعرُ والعِشقُ
ويأتي الحسنُ للدنيا
فتختالُ وتزدانُ الحياةْ

كيفَ للانسانِ
أنْ يسعى
وللحلوةِ أنْ تحلمَ بالحُلوِ
وللأرضِ السلامْ

كيفَ بيروتُ تنامْ
كيفَ أسوانُ تنامْ
كيفَ عجمانُ تنامْ
كيفَ هذا العالمُ العربيّ - باللهِ - ينامْ
بينما قانا
على قارعةِ الدربِ
دماءٌ.. وحُطامْ !

-٢-

كيف في عصرِ نتنياهو
يجيءُ الحبُ
أو يأتي السَلامْ
كيف والعدلُ يهوديٌّ ..
يصيرُ العدلُ
من حقِ الأنامْ !

-٣-

ليس شرعًا
أنْ يدومَ الظُلمُ في الناسِ...
ولا هذا الظلامْ
آنَ أنْ يُزهرَ
بالناسِ وللناسِ
علي الأرضِ .. السلامْ

-٤-

... آنَ للوردةِ أنْ تنمو
وللعصفورِ أنْ يشربَ في النيلِ
وللطفلةِ أنْ تلهو علي رملِ الفراتْ

آنَ أنْ تنهضَ قانا
آنَ أنْ تخرجَ للشعرِ وللعشقِ
فتختالُ .. وتزدانُ الحياةُ .

أبو ظبي - أبريل - ١٩٩٧ م -

الخـــــــــرطومُ يا حبيـــبتي

(كم أنتِ مشـــــرَقةٌ يا أفريقـــــيا)
الرئيس جومو كنياتا في أولِ زيارةٍ له للخرطوم .

(إلى أولئك الرجالِ والنساءِ الذين أضاءوا لنا الخرطومَ - بالحُسنِ والحُسني- في ذلكَ الزمنِ الجميل!)

-١-

عاشقاً جئتُ إليكِ
قبل أربعينَ من سنينْ
طفلاً خُرافيَّ الهوي والشوقِ والحنينْ
وكان (لورِينا) يُسابقُ الظِلَّ
فتنشَقُ الرمالُ فَلقَتينْ
يَدي علي قلبي
الذي كانَ يَدقُ مرتينْ
ونامَ جاري
كيفَ اطمأنَ
كيفَ أغمضَ العينينْ
فها هُم العُربانُ يَسبحونْ
ثم في بحرِ السَرابِ يَغطِسُونْ!

-٢-

ما شَكلُ هذه المدينةِ التي نقصدُ ..
ياتُري
ما لونُ عينيها
وحالُ الناسِ فيها .. يا تُري
هل يلعبُ الأطفالُ مثلنا (شِليلْ)
هل يُحسِنُونَ العومَ عبرَ النيلْ
وأينَ- يا تُري- إذاعةُ أُمْ درمانْ
وكيفَ يلتقي النيلانْ
هل يَسِيلان فيجتمعانْ
أم يَذوبان فيتحدانْ
وكيفَ حالُ (توتي)
وهي ترتاحُ قبْالَةَ الطوابي
وكيف تمشي الكهرباءُ في البيوتِ
أو تصعُدُ في الروابي
وكيف أخبارُ الهلالِ والمريخْ
وعالمُ الغناءِ والدوبيتِ والمديحْ
..ودخل اللوريّ أُمْ درمانَ مثلَ الريحْ !

-٣-

توقفَ اللوريّ في الميدانِ
حيثُ الناسُ
والاتومبيلاتُ والتُرامْ
كان الجميعُ
مُقبلينَ مُدبرينَ
دونَ أنْ يُلقي عليكَ واحدٌ.. سَلامْ
من أينَ جاءوا
أينَ يذهبونَ
كيف يمشي المرءُ في هذا الزحامْ
وكيف- يا ترُى-
ينامُ الناسُ
في مدينةٍ ليسَ بها ظلامْ !

-٤-

ودَلَفَ التُرامُ
للمحطةِ الوسطي
أجراسُه صاخبةٌ تُجَلْجِلُ
ودخلَ السُوقَ
وكانَ السُوقُ
مائجًا وهائجًا.. لا يَسألُ
حتى إذا شَارَفَ
مَجْمَعَ البحرين
راحَ في مِشيتِهِ يَستَعِجلُ
وبانتْ الخرطومُ في عرُوشِها
كأنها حُوريةٌ
بل أجمَلُ

-٥-

فكيفَ يأتي العاشِقوكِ
يا بحيرةَ النجوم
يا حديقةَ السحابْ
من أيِّ دربٍ
أيِّ نيلٍ
أيِّ بابْ
أم أنَّ عُشَاقَكِ كالغَمامِ يدخلونْ
وكيفَ يلبسُونَ
كيفَ يجلسُونَ
كيفَ ينصتونْ
لابُدَ أنَّ لحظةَ اللقاءِ فيكِ
سِيمفونيةٌ من اللحونْ !

-٦-

السَلامُ عليكِ
يا مدينةَ الأشعارِ
والأذكارِ والصلاهْ
السلامُ عليكِ
يا مليحةَ النهرينْ
يا عَسَليةَ العينينْ
يا خمريةَ الشفاهْ
لكلِّ ساكنيكِ أفضلُ السَلامْ
لكلِّ حُسنٍ فيكِ يا مليكتي الوسيمهْ
لمهرجانِ اللونِ في ساحاتِكِ النظيمهْ
كأنما أنتِ سحابةٌ من الضياءْ
بعثَرها اللهُ علي عُباءةِ المَساءْ !

-٧-

هذي -إذنْ- أنتِ أخيرا
هُزي اليكِ وجهيَّ المُتعَبَ ...
هَدْهِديه
وانغرسي في صدريَّ المُشتاقِ ...
وَشْوِشِيه
فإنني من آخرِ الدنيا
ومن مفازةِ الحُزنِ القديمْ
جئتُ اليكِ
كي أرتاحَ- يا حبيبتي-
وكي أنامَ بين العُشبِ والمطرْ
فَفيكِ مَطلعُ الشمسِ
ومنكِ
مَهبَطُ القمرْ

-٨-

واعَجَبي.. لهذه الشوارعِ المُسَفلته
كأنها مغسولةٌ للتوِ ...
هذه الشوارعُ المُسفلتَه
كأنَّ مَنْ يَمشُونَ
مَرشُوشُونَ بالعبيرْ
تَعرفُهُم من قَدلةِ المِشيةِ
من وَسامةِ الطَلعةِ
من عافيةِ الجَسَدْ
تَعرفُهُم.. فكُلٌّ واحدٍ فيهم .. أَحَدْ
وكُلٌّ واحدٍ منهم .. بَلَدْ!

-٩-

تلكَ - إذنْ- (مكتبةُ الملايينِ)
وهذه المحطةُ الوسطي
رأسُ رجاءِ وطني
إنَّ الجميعَ يلتقونَ في رأسِ رجاءِ وطني
كُلُّ الذينَ يَعشقُون
كُلُّ الذين يُبدعونْ
كُلُّ الذين يقرأونَ تلقاهُم هُنا
فتلكَ بيروتُ
وتلكَ بغدادُ
وهذي القاهرةْ
كُلُّ الدروبِ تلتقي هُنا
فرحلةُ الكتابِ حولَ الأرضِ .. تنتهي هُنا !

-١٠-

وينزلُ الليلُ عليكِ
يا أميرةَ الشُعراءِ والغاوينَ
والعُشاقْ
فترتاحينَ عند النيلِ
أو تمشينَ
في الأسواقْ
وتُغدِقينَ في السلامِ
والعناقِ
والعتابِ والإطراقْ
وتسهرينَ

حتى تشتكي الأهدابُ
حتى تَرتمي الأحداقْ
فالليلُ فيكِ–
يا مُرهِقَتي -
فجرٌ من الأشواقْ

-١١-

... ودارتْ الأيامُ
ثم دالتْ الأشياءْ
وشاخَتْ الدنيا
وشاخت مثلها الأشياءْ
لم تَعُدْ الدنيا هي الدنيا
ولا الزمانُ والمكانْ
وصار كُلُّ حَيٍّ فيكِ
متحفاً
لليأسِ والنسيانْ
وصارَ كُلُّ حُسنٍ فيكِ–
يا جميلتي -
رجساً من الشيطانْ
وصرتِ آخرَ الأمرِ
خَرابةً
ليسَ بها إنسانْ !

-١٢-

... هَاهُم يُنِيمُونَكِ- يا سيدتي - في
السادسهْ
كأيِّ طفلٍ ... في تمامِ السادسهْ
هأنتِ يا صاحِبتي العَجوزْ
تُكَركِرينَ مثلَّ الريحِ فوق اليابسهْ
وتسعُلينَ بين القملِ والذبابْ
كأيِّ صُندوقِ قُمامةٍ
كأيِّ رَدْمٍ من تُرابْ
هأنتِ نصْفُ حيةٍ
ونصفُ ميتهْ
تُحدقينَ في الفراغِ
حيثُ تنبحُ الكلابْ
ويمرحُ الخفاشُ
والوطواطُ
بين البومِ والغُرابْ !

الخرطوم فبراير ١٩٩٨م

هلْ أَنتَ حقــــاً عـــربيٌ !؟

-١-

هل أنتَ حقاً عربيْ
هل أنتَ حقاً
منْ سلالةِ البيتِ
ومن نسلِ عليْ !

هل فيكَ شئٌ
من مروءةِ السيفِ
وكبرياءِ الخيلِ ...
أيُّ شيْ

هل فيكَ
من عنترةَ العبسيِّ
أو عمرَ الفاروقِ
أيُّ شيْ

هل فيكَ
أيُّ نسبٍ
باسمِ صلاحِ الدينْ

هل فيكَ
من آياتِنا ...
يوسفُ أو يَسينْ

كيفَ إذنْ -
يا سيدي -
تُساومُ المنافقينْ !؟

-٢-

هل أنتَ حقاً عربيْ !

هل كُلُّ ما يجري
علينا
لا يُثيرُ فيكَ شيْ

هل منظرُ الأطفالِ
يُسحلونَ
و النساءِ الثاكلاتْ

هل مَشْهدُ الشبابِ
يُذبحونَ
و الشيوخِ في الصلاةْ

هل كُلُّ هذا
لا يُثيرُ فيكَ شيْ
هل أنتَ حقّا عربيْ !

-٣-

كيفَ إذنْ
تُساومُ الموتَ القديمَ
بالموتِ الجديدْ

كيفَ تُقايضُ
القاتلَ بالقتيلْ
فإسرائيلُ
لا تقنعُ بالقليلْ
وإسرائيلُ
بعد الأرضِ والقُدسِ
تُريدُ النيلْ

فَوطنُ التوراةِ
يَمتدُّ من الفراتِ
حتى النيلْ !

-٤-

هل أنتَ حقاً عربيٌ !؟

-٥-

إنَّ السلامَ مستحيلْ
إنَّ السلامَ
بين العدلِ والباطلِ ...
مستحيلْ

إنَّ السلامَ
بين القُبحِ والجمالِ ...
مستحيلْ

إنَّ السلامَ عندنا
هو الخروجُ ...
والرحيلْ

هل تَفهمُ
ما معني الخروجِ ...
والرحيلْ !؟

الخرطوم - سبتمبر - ١٩٩٧ م

فَهَلْ تُفيدُ الآخرينَ .. تِلكُمْ الدروسْ!؟

هل بدأَ الطُغاةُ والبُغاةُ
في العالمِ يرحلونْ !؟
هَا هُم علَى كُلِّ الرياحِ .. يَرحلونْ
من اليسارِ
أو من اليمَينِ يَذهبونْ
فَشَاوسِسْكُو
ومنقِسْتُو
وموبوتُو
وسوهارتُو
من اليسارِ
أو من اليمَينِ يَرحلونْ
هَاهُم على مَرِ الشهورِ
والدهورِ
والعصورِ .. يَسقُطونْ
لم تمنع الجيوشُ
هبةَ الشعوبِ
ضدَ تلكم العروشْ
ولا مَخَافرُ البوليسِ
حالتْ

دون دَكِ معقلِ الطاووسْ
ولا أفادتْ
الألقابُ والأنسابُ
دولةَ الديوكِ والتيوسْ
رحلوا
وخلّفوا النعيمَ
والحريمَ
والأقمارَ والشموسْ
لم يأخذوا مجدًا
ولا تاجًا
ولا ذهبًا ولا فلوسْ
ذهبوا فنهضَ التاريخُ
يَستبيحُ سِرَّهم
ويفضحُ المدسُوسْ
فإذ بهم جميعُهم
عصابةٌ من الأوغادِ واللصوصْ
كانوا يُخِيطُونَ ثيابَهم
من الأعناقِ
والأجسادِ .. والرءوسْ
كانوا يُحبونَ شرابَهم
من الأحزانِ
والأشجانِ في النفوسْ
كانوا يلوكونَ شعوبَهم

كمَا اللبانِ
في فمٍ مَهْووسْ
رحلوا
وَظلَّ الناسُ يشتمونَهُم ،
إنَّ زمانَ الظالمينَ سُوسْ
يَنخُرُ في أبدانِهم

ينخرُ في وجدانِهم
ينخرُ في العروشْ
لم يجدوا قبرًا
على بلادِهم
ولا جنازةً .. ولا نعوشْ
فقبِرُوا في أيِّ منفىً مُمكنٍ

بلا مواكبٍ
ولا طُقوسْ
ذهبوا كما جاءوا ،
فهل تُفيدُ الآخرينَ
تلكُمُ الدروسْ!؟

الخرطوم ٢٦ مايو ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

في إنتظـــــــــارِ جـــــــــودو .

(١)

متي... يا سيدي الآتي
متي تأتي
متي تنداحُ
مثل الوحيِّ
حلوَ الشكلِ والسَمتِ
متي تنهالُ
مثل الشمسِ
فوق النخلِ والسُنطِ
متي تنثالُ
مثل البدرِ
فوق الرملِ والشَطِ
... متي
يا سيدي الآتي..
متي تأتي.. !

(٢)

فإنَّ الناسَ
ينتظرونَ
بينِ الجهرِ والصَمتِ
وإنَّ الناسَ
يبتهلونَ
للرحمنِ... أَنْ تاتي
فإنَّ الوقتَ
يَمضُغُهم
وهُم مَلوا من الوقتِ
وإنَّ الصبرَ
يَحصِدُهم
وهُم ماتوا من الموتِ

(٣)

متي
يا سيدي الآتي
متي تأتي..!

أَطفأَ القنـــديلَ .. ثم نَـــــامْ !؟

- ١ -

... حينَ رأى بلادَنا
تهربُ من حزنٍ
إلى يأسٍ
إلى ظلامْ
حين رأى حكامَنا
يهرولونَ نحو إسرائيلَ
يبذلونَ الودَّ والهُيامْ
وإسرائيلُ تضربُ الرقابَ
تستبيحُ العرضَ والأرضَ
وتذبحُ السلامْ
وإسرائيلُ
تستجمُّ في لبنانَ
أو ترتاحُ في الجولانْ
وإسرائيلُ
صارتْ السيدَ
والسائدَ
والواحدَ
والسلطانْ

والعربُ المسالمونَ
يصطافونَ في مدريدَ
يبتاعونَ في تايوانْ
والعربُ الكرامْ
تائهونَ في شوارعِ العالمِ
تحت الريحِ والغمامْ
... أيقنَ أنَّ الصمتَ ذهبْ
فصفعَ البابِ
وأطفأ القنديلَ
ثم نامْ

-٢-

يا سَيِّدَ الأحياءِ والأمواتِ
في هذا الزمانْ
إنى أراكَ الآنَ
تستلقي
على ساحلِ بيروتَ
تحاورُ الأمواجَ والأصدافَ
والحيتانْ
إني أراكَ الآنَ جالساً
إلى صبيةٍ نجديةِ العينين
متكئاً على وسادةٍ بيضاءَ
من ريشِ النعامْ
ثم أراكَ تنحني لياسمينةٍ
هناكَ في بَرَدى
على دمشقَ الشامْ

أو واقفاً على بوابةِ القَدسِ
مُوشحًا بالحزنِ
والأشواقِ والدخانْ
إني أراكَ مكروبًا
لأنّ الكونَ صار عِبريًا
ولم يبقَ لنا
سِوى اللسانْ
إني أراكَ الآنَ
شامخًا
كنخلةٍ نيليةٍ
ألقتْ ظلالَها
للناسِ والزمان•

– ٣ –

في ذلكَ اليوم وذلكَ النهارْ
في الرابعِ منَ أيارْ
كانت الأرضُ جنازةً
تمتدُ من جُزرِ الرمادِ
حتى جزرِ البهارْ
كانت سماءُ الشامِ
فوق الشامِ
ليس لها قَرارْ
والهرمُ الأكبرُ
فوق النيلِ
تلاً من غبارْ
والعالمُ العربيُّ في جذرٍ

وفى مدٍ
وفى دُوارْ
فلقد ماتَ نزارْ
شاعرُ الثورةِ والعشقِ
وطوقِ الياسمين•
فلقد ماتَ نزارْ
شاعرُ المغربِ
والمشرقِ والمقدسِ ماتْ
فلماذا أيُّها الحكامُ
تبقونَ على قيدِ الحياةْ
بينما يرحلُ
مَنْ علمكم معنى الحياةْ !

– ٤ –

مَنْ كان يعبدُ الشاعرَ ...
فالشاعرُ ماتْ
غيرَ أنَّ الشعرَ
حيٌّ لا يموتْ

– ٥ –

يا سيدي الشاعرُ
يا سُلطانَ
هذا العصر والأوانْ

يَا سيدي العَاشقْ
يا رسولَ العشقِ
في كُلِّ مكانْ
يا صاحبَ الفقراءِ
والتُعساءِ
والشُهداءِ .. والأحزانْ
ويا نبيَّ الشعرِ
يا خليفةَ اللهِ
على الجمالِ والألوانْ
أنتَ رأيتَنا هنا ..
كيف تَرانا
من هناكَ .. الآنْ
وهل شاهدتَ
أيَّ ظالمٍ لنا ...
هناكَ في الجنانْ
وهل رأيتَ أيَّ قاتلٍ لنا
هناكَ في الرضوانْ
وهل أبصرتَ
أيَّ بندقيةٍ
في يدِ شُرطيٍّ ومأجورٍ جبانْ
وهل قابلتَ
أيَّ شاعرٍ
كان يُمارسُ التدليسَ

والتبويسَ
والبُهتانْ
وهل شاهدتَ
أيَّ مأبونٍ
كان يُمارسُ السُلطةَ -
باسمِ اللهِ -
والطُغيانْ
وهل رأيتَ
غيرَ أنبياءِ اللهِ
والمستضعفينَ
من بنى الإنسانْ
... يا سيدي العارفُ
كتبَ اللهُ الجنانَ
للناسِ
وليسَ للشيطانْ!

الخرطوم ٦ مايو ١٩٩٨م



بسم الله الرحمن الرحيم

لم يبـــقَ بعدَكَ غيرُ وطنٍ من رمـــــادْ !

(ثلاثونَ عاماً أو تكادْ.. على رحيلِ جمال عبد الناصر.)

– ١ –

من أينَ أبدأُ -
سيدي -
وبأيِّ أحزانِ العبادْ
فالأرضُ مادتْ
مُذْ رحلتَ
ولم تَعُدْ فيها بلادْ
والحُلمُ هاجرَ
والعروبةُ
أعلنتْ عصرَ الحدادْ
والسيفُ أجفلَ
للمنافي
حين أدبرتْ الجيادْ
مُتنا
وماتتْ (أمةُ الأمجادِ)
من طولِ الرُقادْ !

-٢-

يا سَيّدي
لم يَبقَ بعدَكَ
غيرُ وطنٍ من رَمادْ
فالعالمُ العربيُّ
عادَ
إلى عصورِ الارتدادْ
والشارعُ العربيُّ
أدمنَ شهريارَ
وشهرزادْ
والعالمُ العربيُّ
صارَ اليومَ
مختبراً لأسلحةِ الفسادْ
صارتْ بلادي
ساحةً مفتوحةً
للمخبرينَ وللمُوسادْ
صارتْ أمَيْرَكا
في بلادِ النفطِ
سيدةَ البلادْ
نهبَ اليهودُ
مياهَنا

صرنا بلا ماءٍ وزادْ
فجميعُ أنهارِ العروبةِ
أصبحتْ
رَهنَ المزادْ
وجميعُ حكامِ العروبةِ
في حصارٍ
أو حيادْ

هل عاشَ
مَنْ طلبَ النجاةَ
ولاذَ في طوقِ الحيادْ !

-٣-

يا سَيِّدي
ماتتْ قصائدُنا
وناحَ علي دفاترِنا المدادْ
كُنتَ الزمانَ
العبقريَّ
وكُنتَ للناسِ القِيادْ
لكننا بعناكَ -
يا قَمرَ العروبةِ -
في المزادْ
بعنَا

رسالاتِ السماءِ
وكُلّ تاريخِ الجهادْ
بعنا
فتوحاتِ السيوفِ
وانتصاراتِ الجيادْ
بعنا صلاحَ الدينِ
بعنا خالداً
بعنا زيادْ
يا سيدي
ماذا أقولُ
فكُلّ أقوالي رَمادْ !

-٤-

ما عادَ
فى الدنيا حيادْ
والحقُ ليسَ له حيادْ
فالمرءُ إما أنْ يكونَ
مع الحياةِ
وضدَ أعداءِ البلادْ
أو يستقيلَ
من الحياةِ
ويستقيلَ من البلادْ
هل يستحقُ العيشَ
مَنْ خانَ القضيةَ
أو تَدثرَ بالحيادْ !؟

الخرطوم ٧ مارس ٩٩

سَيِّـــــــــــدَةُ الأرض

(.. رحلتْ والدتي الحاجة فاطمة عبد الرحمن كتـــاب إلى رحابِ الله عصرَ الأربعاء ١٩ ســـــبتمبر ١٩٩٠م وكنتُ وقتَها لاجئًا سياسيًا باليمن الشقيق ، ولم أســتطع الحضورَ للخرطوم لوداعها أو نشرَ هذه القصيدةَ فـــي وقتها ... للأسبابِ المعروفةِ ، فالي روحها الطاهرةِ .. وفاء واعتذارًا .)

– ١ –

هَاهِي الآنَ
سيدةُ الأرضِ
تغفو كعادتها فيِ أمانِ الأصيلْ

وتري حولَها الأرضَ
تطرحُ أثقالَها
والجبالَ اليها تميلْ

وتُشاهدُ قابيلَ
يغتالُ هابيلَ
حتى يسود البلادَ دخيلْ

إنه الزمنُ البربريُّ أتانا
فجاءَ الغريبُ
لغوثِ العميلْ

ولمّا رأتْ ما رأتْ
واستحالَ عليها البقاءُ
تَولتْ إلى ربها بالرحيلْ

هل نقولُ انتهي
زمنُ الحبِ والنبلِ
ماتَ الزمانُ الجميلْ

هل نقولُ
بأنَّ المصيبةَ فينا
فنحنُ القتلنا .. ونحنُ القتيلْ

هل نقولُ
بأنَّ الطريقَ إلى اللهِ
ليسَ طويلاً...
ولكنه سيطولْ !

فإنْ أنتَ يَممتَ مكةَ
يلقاكَ أبرهةُ الحبشيُّ
وقد حالَ دونَ الوصولْ

وإنْ أنتَ يَممتَ يثربَ
سدُوا عليكَ مسالكَ يثربَ ...
نحو الرسولْ

فماذا تقولُ
وهل تركوا للمقامِ مقالاً
وللناس قولاً
فماذا تقولْ

وتلكَ جحافلُهُم تَستبيحُ -
من الماءِ للماءِ -
كُلَّ النُجودِ وكُلَّ السُهولْ
ولما تَناوَحتْ الخيلُ
هائمةً في الصحاري
بدونِ سروجٍ .. ودونِ صَهيلْ

استحالَ لسيدةِ الأرضِ
هذا المكانْ
فلاذتْ إلى ربها بالرحيلْ

هل نقولُ انتهي
زمنُ الحبِ والنبلِ
ماتَ الزمانُ الجميلْ !

فلماذا رحلتِ – اذنْ -
ولدينا من الحبِ والنبلِ ...
بعضُ القليلْ

ولماذا استحالَ
عليَّ وداعُكِ
أنتَِ التي كُنتِ عصرًا نبيلْ

نَصَبُوا في الطريقِ إليكِ المشانقَ
كانوا يُريدون رأسي ...
بأيِّ سبيلْ

كنتُ أُعطيتُ عُمري لأرضي
وأوفيتُ ديني
وأحببتُها بشرًا ونخيلْ

وكنتُ اذا سرتُ
سارتْ بلادي
وكنتُ اذا مِلتُ
راحتْ تميلْ

لم يَعُدْ وطني وطنًا
هَا هُو الآنَ
يَرجُمُني حاكموه بأنيَّ مرتزقُ وعميلْ

هل أكونُ عميلاً
لأني لجأتُ إلى يمنِ الأصلِ
حينَ استحالَ عليَّ الدخولْ

هل أكونُ عميلاً
وهم أوقفوا زوجتي وصغاري
وسدُوا عليهم دروبَ الرحيلْ

هل أكونُ عميلاً
أنا شاعرُ الحبِ والخيرِ والحُسنِ
والوطنِ المستحيلْ

أوَلستُ أنا
مَنْ تغني بسودانه
وهل غيرَ شِعري يكونُ الغناءُ الجميلْ

فأنى يُشرفني -
إنْ تضيقُ بلادي بعِشقي لها -
أنْ أكونَ عميلْ !

-٢-

مَنْ يُحاكمُ مَنْ !؟

ومَنْ سَيِّدُ الأرضِ والنيلِ
صَاحبُ ذاكَ النخيلْ

ومَنْ سيدُ الشعرِ
والنثرِ
مَنْ مجدُه مثل مجدي الأثيلْ

مَنْ يُحاكمُ مَنْ !؟

وهل تستطيعُ السفينةَ
أنْ تقطعَ البحرَ نصفين
أو تتزحلقَ فوقَ النجيلْ

وهل يستطيعُ الذين أتوا
من بلادِ الأفاعي
شراءَ بلادي.. وهذا المقام الجليلْ

ولماذا أصيرُ عميلاً
ولي وطنٌ مثلُ هذا
وعندي تراثٌ أصيلْ

إنهم يعلمونَ
بأنَّ بلاديَّ مقبرةٌ
وأنَّ البقاءَ بأرضيَّ
أهونُ منه الرحيلُ !

-٣-

سيدةَ الأرضِ.. معذرةً
فإنَّ الكلامَ يطولُ
لأنَّ الكلامَ عن الأرضِ دومًا طويلْ

ويرحمُكِ اللهُ
تنتبذينَ مكانك في ظلِ خالقنا
وهو شهدٌ وماءٌ وظلٌ ظليلْ

ويرحمنا اللهُ
إنا نعيشُ الخَصَاصَةَ والكادَ
نضربُ في التيهِ
دونَ وصولٍ ودونَ دليلْ

ولم يبقَ مِنَا سِوي البعضِ مِنَا
ولم يبقَ من وطنٍ قارةٍ ...
غيرُ هذا القليلْ !

بسم الله الرحمن الرحيم

أَشهدُ أَنَّ باكستانَ.. سيفُ الله

أَشهدُ أنَّ لا إله
إلا الله
وأنَّ محمداً- حبيبَنا- رسولُ الله
أشهدُ أنَّ الصبرَ
من صفاتِ الله
وأنَّ العدلَ من صفاتِ الله
وأنَّ النصرَ
يأتي دائماً بإذنِ الله
وأنَّ باكستانَ
صارتْ الآنَ
لكلِّ البسطاءِ والمستضعفينَ ..
سيفَ الله
وأنَّ محمداً
عادَ إلى يثربَ
منصوراً
ومخفوراً.. بجندِ الله
وأنَّ الأرضَ
لم تَعُد مباحةً
ولا مشاعةً.. لغيرِ الله
وأنَّ البرَّ

بين الماءِ والماءِ
مسورٌ بشعبِ الله
وأنَّ اسرائيلَ
لم تعُدِ الآمرَ والناهي
ولم تعُد في الأرضِ
ظلَّ الله
وأنَّ العالمَ العربيَّ
لم يعد مزرعةً متاحةً
يأكلُ من ثمارِها عدوُّ الله
وأننا باقونَ
في يافا
باقونَ في حلفا
باقونَ في مكةَ بيتِ الله
وقادمونَ للمقدسِ
من كُلِّ الرياحِ والجهاتِ
في كُلِّ الفصولِ والأوقاتِ
بإذنِ الله
إنَّ الطريقَ للنصرِ
شطيةٌ
تقولُ...(لا إله إلا الله
وأنَّ محمداً رسولُ الله) .

الخرطوم ـ ٦ يونيو ـ ١٩٩٨م

يا وطني .. متي تقولْ ! ؟

-١-

...لأنني أُحبُّ فيكَ
فقرَكَ النبيلْ
لأنني أَوَدُّ فيكَ
صمتك الطويلْ
لأنني أَشكرُ فيكَ
صبرَك الجميلْ
يَشتُمني المُحتالُ
والطبَّالُ والرذيلْ !

-٢-

لأنه .. ليسَ لديَّ
فيكَ من أرَبْ
غيرِ محبةِ الناسِ
وغيرِ العشقِ والأدبْ
لأنني لا أقتني
سيفاً
ولاخيلاً ولاذهبْ
يَشتُمني الذين
في قلوبهم
يَخْشَوشِبُ الحَطَبْ !

-٣-

لأنني .. لستُ أرى
أجملَ منكَ يا وَطنْ
ولاأري أنبلَ منكَ
في الإحسانِ والحَسَنْ
لأنني يقتلني الخوفُ
عليكَ والحَزَنْ
يَشتُمني الذين
في وجدانهم
يَعْشَوشِبُ العَفَنْ !

-٤-

لأنني لا أَنحني -
قَطُ - لغيرِ الله
ولستُ من بطانةِ
السُلطانِ أو سِواهْ
لأنني تزكمني
أنفاسُ أهلِ الجاهْ
....يَشتُمني الأجلافُ
والأنصافُ والأشباهْ

-٥-

لأنني الشوقُ القديمُ
بين السيفِ والخيولْ
لأنني العشقُ الذي
سوفَ يُغيرُ الفصولْ
لأنني البوحُ العميمُ
بين الغيمِ والسهولْ
يشتُمنِي الذين يبغضونَ
طلعةَ الصباحِ في الحقولْ

-٦-

لأنَّ ما أدعو له
هو السلامُ بين الناسِ ...
والقبولْ
لأنَّ ما أدعو له
جاءَ به
كتابُ اللهِ .. والرسولْ
لأنَّ ما أقوله
قال به التاريخُ
إذ يقولْ
... يَشتُمني المشتُومُ
والمذمومُ
والمبنيُّ للمجهولْ !

-٧-

يا وطني ،
يا أيُّها الحزينُ
أيُّها المُروَّعُ المقتولْ
يا مَنْ يموتُ
دونَ أجلٍ
أو سببٍ معقولْ
متي تقومُ
من كبوتِكَ التي طالتْ ...
فهل تطولْ
متي أراكَ شامخاً
مثل نخيلِكَ الباذخِ
في السُهولْ !

-٨-

يا وطنيٍ
متي تقولُ ما تريدُ
يا وطني
متي تقولْ ! ؟

أبريل- ١٩٩٩م

هل تَمنحـــــــني الأَمانَ
حتى أُكمِلَ القصيدةَ التـــــــي أُريدْ !؟

-١-

هل تَمنحني الأمانَ
حتى أُكمِلَ القصيدةَ التي أُريدْ
هل تمنحني السَلامَ
حتى أُكمِلَ القولَ .. ولا أُعيدْ !

-٢-

أبدأُ بالسؤالِ عن صحةِ مولايَ
وعن مزاجِهِ الغالي
وعن عيالِه
وأسألُ اللهَ له المزيدْ

وأنْ يَمُدَّ اللهُ في سلطانِه
وأنْ يزيدَ اللهُ من أقرانِه
وأنْ يمنحه العُمرَ الذي يُريدْ

وأطلبُ التوبةَ في رحابِه
وأسألُ الغفرانَ من جنابه
إنْ خانني التعبيرُ
أو إنْ خانني القصيدْ
فلا أُريدُ غيرَ أنْ أُدبِّجَ المديحَ
أنْ أقولَ في الإمامِ
مثلَ ما يقولُ مالكٌ في الخمرِ.. أو يزيدْ

-٣-

يا حضرةَ الإمامْ
ها نحنُ طيَّ عصرِكَ المجيدِ
صار عندنا في كُلِّ يومٍ حادثٌ مجيدْ

ها نحنُ من حِكْمَتِكم -
يا سيدي الإمامْ -
صرنا لدي بلاطِكم .. حاشيةً من الإماءِ والعبيدْ

ننامُ إنْ أمرتَ
أو نقومُ إنْ أردتَ
أو نجلسُ أينما وكيفما تُريدْ

ها نحنُ من عدلِكَ
صِرْنا وطناً
ليس به خبزٌ ولا ماءٌ ولا قديدْ

ها نحنُ من رحمةِ مولانا بنا
تَفَكَكَتْ بلادُنا
وصار فيها كُلَّ يومٍ فاتحُ جديدْ

ها نحنُ - يا إمامَنا الرشيدْ-
من هولِ ما أنصفتنا ...
يَسُوسُنا البَخيلُ والجبانُ والبليدْ

وأصبحتْ بلادُنا- بفضلكم- مقبرةً
فنصفُها مُجنزَرٌ
ونصفُها شهيدْ

ومازالَ - يا إمامَنا السَديدْ-
تُنذِرُنا في كُلِّ يومٍ
بالمزيدِ والمزيدِ .. والمزيدْ !

- ٤ -

تَبلْقنَتْ بلادُنا
وأنتَ ما تزالُ الماجدَ المَجِيدْ
تَبخَرتْ بلادُنا
وأنتَ ما تزالُ القاعدَ القَعِيدْ

لم يبقَ في البلادِ
مَنْ يغسلها
لم يبقَ في البلادِ مَنْ يدفنها
وأنتَ ما تزالُ الواحدَ الوحيدْ

كيفَ ذهبنا كُلُّنا
أينَ ذهبنا كُلّنا
ماذا جري لوطني
الذي كانَ نسيجُه فريدْ

... لاشيءَ .. غيرَ أنَّ حضرةَ الإمامِ
قد جاءَ لكي يَدومَ
مهما كلفَ الدوامُ من موتٍ ومن حَصِيدْ !



يا وجهـــــــــيِ بينَ النّـــــــاسْ !

-١-

وجهُكِ هذا
وطنٌ آخرُ في زمنٍ آخرٌ
زمنٍ يأتي من وطنٍ آخرْ

-٢-

وجهُكِ مصباحُ
بستانٌ وكتابْ
وجهُكِ أسئلهْ
من دونِ جوابْ

-٣-

وجهُكِ غيمٌ
يُمطرُنا كُلَّ صباحْ
وجنينةُ رُطبٍ
وحديقةُ تفاحْ

-٤-

وجهُكِ- يا سيدتي-
عصفورُ سوّاحْ
ما زال يُوزعُ
للناسِ ... الأفراحْ

-٥-

وجهُكِ
يا وجهَ العشقِ
ويا وجهَ الشوقِ
ويا وجهي بين الناسْ !



الفهرست

القصيدة	الصفحة

أعمـــال للمؤلـــف

١- غدا نلتقى – مجموعة شعرية
- ❖ طبعة أولي – القاهرة – ١٩٦٠
- ❖ طبعة ثانية – بيروت – ١٩٦٨
- ❖ طبعة ثالثة – بيروت – ١٩٧٠
- ❖ طبعة رابعة – تونس – ١٩٨٣

٢- ملعون أبوكى بلد – مجموعة قصصية
- ❖ طبعة أولى – القاهرة – ١٩٦٥
- ❖ طبعة ثانية – بيروت – ١٩٦٨
- ❖ طبعة ثالثة – بيروت – ١٩٧٠

٣- مقدمات – مجموعة شعرية –
- ❖ طبعة أولى – بيروت – ١٩٧٠
- ❖ طبعة ثانية – القاهرة – ١٩٨٦

٤- مسدار .. عشان بلدي – مجموعة شـــعرية بالعاميـــة السودانية
- ❖ طبعة أولى – الخرطوم – يناير ١٩٧٨

٥- نحن – قصيدة طويلة بالعامية السودانية
- ❖ طبعة أولي – الخرطوم – مايو ١٩٧٨

٦- سندباد .. في بلاد السجم والرماد - مجموعة شعرية بالعامية السودانية -

❖ طبعة أولى - الخرطوم - مايو ١٩٧٨ -

٧- عرضحال .. من جملة أهالى السافل .. يوصل ، مسرحية شعرية بالعامية السودانية - من مسرح الرجل الواحد

❖ طبعة أولى - الخرطوم - ١٩٨٠

٨- كتاب مفتوح .. إلى حضرة الامام - مجموعة شعرية

❖ طبعة أولى - لندن - يناير - ١٩٨٥

٩- بكائية .. على بحر القلزم - مجموعة شعرية

❖ طبعة أولى - تونس - ١٩٨٥

١٠- أجيك عاشق مسافر ليل - مجموعة شعرية بالعامية السودانية

❖ طبعة أولى - القاهرة - ١٩٩٧

١١- خربشات على دفتر الوطن - مجموعة شعرية

❖ طبعة أولى - القاهرة - ١٩٩٧

١٢- أنتم الناس ... أيها اليمانون - مجموعة شعرية

❖ طبعة أولى - الخرطوم - ١٩٩٩



دار هـايل للطـباعة والنشـر والتغليف
HAIEL HOUSE FOR PRINTING PUBLICATION



لا لإحتكـــار
الكتب السودانيـة

السَلامُ عليكِ
يا مدينةَ الأشعارِ
والأذكارِ والصلاهْ
السلامُ عليكِ
يا مليحةَ النهرينْ
يا عَسَليةَ العينينْ
يا خمريةَ الشفاهْ
لكلِّ ساكنيكِ أفضلُ السَلامْ
لكلِّ حُسنٍ فيكِ يا مليكتي الوسيمهْ
لمهرجانِ اللونِ في ساحاتِكِ النظيمهْ
كانما أنتِ سحابةٌ من الضياءْ
بعثَرها اللهُ علي عُباءةِ المسَاءْ !

الثمن ٥٠٠٠ جنيها